العلوم العقلية

حركة النقل و الترجمة

- ازدهرت العلوم العقلية بصفة خاصة منذ بداية العصر العباسي بفضل رعاية الدولة وتشجيعها.
- ونتيجة للاتصال المثمر بين الثقافة العربية و بين ثقافات الأمم الأخري التي خضعت للحكم الإسلامي.
-كان معظم الناقلين من السريان.

- كان معظم هؤلاء السريان من النصاري أوالصابئة.
- بدأت عملية الترجمة في صورة ضيقة زمن الأمويين.
- ويقال أن طبيبا سريانيا من البصرة يدعي ما سرجويه نقل للخليفة عمربن عبد العزيز كتابا في الطب.
- كذلك عربت الدواوين في عهد عبدالملك بن مروان وأبنائه بعد أن كانت بالفارسية واليونانية .
- كان نشاط المترجمين مركزا في الأديرة والمدارس.

- كما كانت مدينة بلخ في إيران مركزا للثقافات الفارسية والهندية.
- بلغت العناية بحركة الترجمة ذروتها في بداية العصر العباسي .
- كان أبوجعفر المنصورعلي رأس الخلفاء العباسيين المهتمين بهذه النهضة العلمية ففي عهده نقل الكاتب الفارسي عبدالله ابن

المقفع بعض الكتب من الفهلوية إلي العربية،ومن أشهرها كتاب "كليلة ودمنة" وهي قصة هندية الأصل ترجمت من قديم إلى الفارسية ثم جاء ابن المقفع وترجم النص الفارسي إلي العربية،وعن العربية نقلت هذه القصة إلى أكثر لغات العالم.

- كذلك استعان الخليفة المنصور بالعلماء السريان في نقل وترجمة أمهات الكتب الهندية واليونانية في الفلك والطب والرياضيات إلى العربية.(مثال : الطبيب جرجس بن بختيشوع).

- وفي عهد هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ) ترجمت لأول مرة عن اليونانية بعض أعمال العالم بطليموس القلوذي، ومن أهم أعماله كتابه المعروف باسم المجسطي ، والكتاب عبارة عن موسوعة علمية في الرياضيات والفلك، بل وفي الموسيقى أيضًا إذ يروى أن المغني العراقي أبا الحسن علي بن نافع الملقب بزرياب لم يقصر ألحانه على الموسيقى الفارسية التي تعلمها من أستاذه إسحاق الموصلى في بغداد، بل حفظ – على حد قوله – عشرة آلاف مقطوعة من الأغاني بألحانها من الموسوعة اليونانية المعروفة بكتاب بطليموس.

- وفي خلافة والده المهدي بن المنصور (١٥٨-١٦٩هـ) برز عالم عربي في الكيمياء يدعى جابر بن حيان الأزدي وقد نُسبت إليه كتابات كثيرة في الكيمياء تضم ما وصل إليه هذا العلم من تقدم في هذا الوقت سواء في المركبات الكيميائية التي لم تكن معروفة من قبل مثل حامض النيتريك (ماء الفضة)، والبوتاس، وروح النوشادر، والكربونات، أو في وصف العمليات الكيميائية كالتقطير والترشيح والتبلور والتكثيف .
- أما الخليفة عبد الله المأمون بن هارون الرشيد (١٩٨-٢١٨هـ) فقد اقترن اسمه بتلك النهضة العلمية التي بلغت ذروة الازدهار في عهده، وذلك لأنه شارك فيها بنفسه حتى قيل إنه حكيم بني العباس .

- حيث أنه أرسل البعثات من العلماء إلى القسطنطينية وجزيرة قبرص للبحث عن نفائس الكتب اليونانية، وداخل ملوك الروم في هذا الشأن وأتحفهم بالهدايا.

- ولما علم بأن رجال الكنيسة هناك بعد أن انتشرت النصرانية في بلادهم، جمعوا كتب الفلاسفة اليونانية القديمة من المكتبات، وألقوا بها في السراديب تحت الأرض لأنها منافية لتعاليم الكنيسة،طلب من الإمبراطور البيزنطي تيوفيل أن يعطيه هذه الكتب مقابل الجزية التي كان قد فرضها عليه.

- ولقد نُقل هذا التراث اليوناني من كتب أفلاطون، وأرسطاليس أو أرسطو في الفلسفة وكتب أبقراط ، وجالينوس في الطب، وكتب إقليدس وبطليموس (ت١٧٠م) في الفلك والرياضيات وغيرها، نقله إلى بيت الحكمة في بغداد.
- وكان هذا البيت بمثابة معهد علمي يضم مكتبة لنسخ الكتب ودارًا لترجمتها إلى العربية، كما كان له مدير ومساعدون ومترجمون ومجلدون للكتب، كذلك زود المأمون بيت الحكمة بمرصد فلكي وهكذا اتسعت حركة النقل والترجمة في أيام المأمون.

- ومن أشهر العلماء الذين تخرجوا من بيت الحكمة نذكر محمد بن موسى الخوارزمي (ت٢٣٢هـ/٨٤٧م) الذي يعد من أعظم الرياضيين والفلكيين من علماء العرب، عهد إليه المأمون بوضع كتاب في علم الجبر فوضع كتابه "المختصر في حساب الجبر والمقابلة"، وهذا الكتاب هو الذي أدى إلى وضع لفظ الجبر وإعطائه مدلوله الحالي.

- فالجبر إذن علم عربي سماه العرب بلفظ من لغتهم، والخوارزمي هو الذي خلع عليه الاسم الذي انتقل إلى اللغات الأوروبية بلفظه العربي Algebra، ولقد ترجم كتاب الخوارزمي إلى اللغة اللاتينية في القرن السادس الهجري ومن هناك انتقلت ترجمته إلى أوروبا حيث ظلت تدرس في جامعاتها حتى القرن السادس عشر الميلادي.

- خلاصة القول أن الخليفة المأمون كان شغوفًا بالثقافة الإغريقية.

- أما العلوم الفلكية، فقد برز فيها في تلك الفترة أبو العباس أحمد الفرغاني (ت٢٤٦هـ) وهو عند الغربيين يسمى Alfraganus الفراجانوس وقد تُرجمت كتبه في علم الفلك إلى اللاتينية والعبرية في العصور الوسطى، وكان لها تأثير على دانتي صاحب الكوميديا الإلهية. ويقال إن الأمريكيين أطلقوا اسم الفرغاني حديثًا على قطاع من القمر تقديرًا لفضله.

- ولقد ترتب على حركة الترجمة وانتشار الكتب المنقولة إلى اللغة العربية أن انتقل هذا التراث العربي إلى الأندلس حيث تناوله الأندلسيون بالبحث والدراسة، كما أضافوا إليه من عندهم إضافات وابتكارات قيمة ولاسيما في ميادين الطب والفلسفة والأدب، مما جعل للحضارة الأندلسية شهرة واسعة في أوروبا وقام عدد كبير من المستعربين والأندلسيين والإسبان بترجمة الكتب العربية في الفلسفة وغيرها إلى اللاتينية والعبرية ولاسيما في زمن الملك الإسباني ألفونسو العاشر الملقب بالحكيم أو العالم El Sabio (١٣م) الذي أنشأ في طليطلة وإشبيلية ومرسيه مراكز علمية للترجمة من العربية إلى اللاتينية والقشتالية (الإسبانية).

- كذلك تُرجمت في عهده رحلة الإسراء والمعراج النبوي إلى الاسبانية والفرنسية واللاتينية، وتأثر بها الشاعر الإيطالي دانتي إليجييري في ملحمته المعروفة بالكوميديا الإلهية، مما كان له أثر كبير في تطور الفكر الأوروبي في العصر الوسيط.

- وما يقال عن الأندلس يقال أيضًا عن جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا حيث قامت في بالرمو، ونابلي، تحت رعاية الإمبراطور فردريك الثاني، معاهد علمية لترجمة الكتب العربية الإسلامية إلى اللاتينية ونشرها في العالم الغربي المسيحي حيث أحدثت أثرًا قويًا في تفتيق الأذهان وتحررها من قيود رجال الكنيسة مما مهد الطريق إلى حركة النهضة الأوروبية ، وحركة الإصلاح الديني اللذين بهما تبتدئ الحضارة العالمية الحديثة.

نظم الحكم والإدارة في الدولة الإسلامية

- النظم هي الخطط ومفردها خُطة (بضم الخاء) وتعني نظم الحكم والإدارة Institutions وما يرتبط بها من تشريعات وأحكام مما يحقق للإنسان الأمن والعدالة والحكم الصالح. أما الخطط ومفردها خِطة (بكسر الخاء) فهي تعني الأماكن والأحياء. فهناك مثلاً خطط القاهرة للمقريزي، وخطط الشام لكرد علي، ومعناها أحياء وأقاليم القاهرة والشام. الخُطة (بالضم) ما يدبر عقلاً، والخِطة (بالكسر) ما يدبر مكانًا.

- على أن الذي يعنينا في هذا الموضوع، هو المصطلح الأول، الذي يتناول خُطط المجتمع الإسلامي أو وظائفه الكبرى مثل خطة الخلافة وخطة الوزارة، وخطط القضاء والجيش والأسطول، وغير ذلك من الوظائف التي تختص بنظام الحكم والإدارة.

أولا: خطة الخلافة

- كثر الكلام و الجدال بين العلماء القدامي و الحديثين حول موضوع الخلافة فبعضهم يقيم هذا النظام على العقل، لأنه لولا الحكام لكان الناس فوضى مهملين. والبعض الآخر يقيمه على الشرع دون العقل، لأن أول اختصاص للخليفة هو حفظ الشرع وتطبيقه اقتداءً برسول الله .

- وعلى الرغم من أن خطة الخلافة، أصبحت الآن مجرد اصطلاح لغوي قديم، إلا أننا إذا انتقلنا إلى البعد التاريخي، وجدنا فيها صورة مجسدة لمبادئ الإسلام في الحكم، من حيث تنظيم العلاقات الإنسانية وفقًا لأحكام الشرع والدين. ولا شك أن الحكم الصالح يقتضي وجود حكومة ترعى مصالح الدين والدنيا اقتداءً برسول الله، يرأسها خليفة عنه وهو ما يعرف في العصر الوسيط بالخليفة أو الإمام أو أمير المؤمنين.

- فالخليفة هنا، هو خليفة رسول الله في قيادة جماعة المسلمين، وإن كان المضمون قد تطور بعد ذلك إلى خليفة الله في أرضه استنادًا إلى قوله تعالى في سورة البقرة: (**وَإِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً**).

- غير أن هذه الآية تعني الخلافة العامة للآدميين في الأرض يخلف بعضهم بعضًا لعمارتها، ولا يقصد منها معنى الحكم.

- ولكن البعض مع ذلك فسروها بهذا المعنى أي معنى الحكم وتلقبوا بها.
- وقد أنكر أبو بكر الصديق إطلاق هذه التسمية عليه حين دُعي بها، وقال: "لست خليفة الله، ولكني خليفة رسول الله".
- كذلك نلاحظ من الناحية اللغوية أن لفظ خليفة أو استخلاف، تطلق في حق الغائب وليس في حق الحاضر، لأن الخليفة هو الذي يخلف من قبله الذي غاب، أما خليفة الله فلا يجوز لغويا لأن الله

حاضر في كل زمان ومكان.

- وعلى هذا يمكن القول بأن الخلافة تعني خلافة الله في أرض الله ابتداءً لعمارتها، ثم خلافة رسول الله في قيادة المسلمين وتنفيذ أحكام الإسلام بين الناس.

- أما لقب إمام فهو يعطي أيضًا معنى الزعامة أو الرئاسة مثل قوله تعالى: **(وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ)**.

- وكان النبي يؤم الناس في الصلاة بوصفه زعيمًا للمسلمين، ولما مرض مرضه الأخير، ندب أبا بكر ليصلي بالناس بدلاً منه. ولقد اتخذ المسلمون السنيون من هذه الحادثة دليلاً أو حجة على أحقية أبي بكر بالخلافة بعد النبي مما يدل على أهمية الإمامة في الصلاة كرمز للزعامة. ولهذا كانت الإمامة في الصلاة من أهم أعمال الولاة في الأمصار الإسلامية وقد آثر الشيعة اختيار هذا اللفظ فلقبوا الخليفة بالإمام لما له من صفات دينية، لأن الإمام عندهم مستودع العلم الشرعي.